

تفسير ابن كثير

يأمر تعالى : عباده المؤمنين بالإنفاق والمراد به الصدقة ههنا قاله ابن عباس : من طيبات ما رزقهم من الأموال التي اكتسبوها قال مجاهد : يعني التجارة بتيسيره إياها لهم وقال علي والسدي { من طيبات ما كسبتم } يعني الذهب والفضة ومن الثمار والزروع التي أنبتها لهم من الأرض قال ابن عباس : أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ونهاهم عن التصدق برذالة المال ودنيئه وهو خبيثه فإن ^ا طيب لا يقبل إلا طيبا ولهذا قال : { ولا تيمموا الخبيث } أي تقصدوا الخبيث { منه تنفقون ولستم بأخذه } أي لو أعطيتموه ما أخذتموه إلا أن تتغاضوا فيه فإن ^ا أغنى عنه منكم فلا تجعلوا ^ا ما تكرهون وقيل معناه { ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون } أي لا تعدلوا عن المال الحلال وتقصدوا إلى الحرام فتجعلوا نفقتكم منه ويذكر ههنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد حدثنا إسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمداني عن عبد ^ا بن مسعود قال : قال رسول ^ا صلى ^ا عليه وسلم [إن ^ا قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم وإن ^ا يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن أحب فمن أعطاه ^ا الدين فقد أحبه والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه يا نبي ^ا قال غشه وظلمه ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان إلى النار إن ^ا لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن إن الخبيث لا يمحو الخبيث] والصحيح القول الأول قال ابن جرير C : حدثنا الحسين بن عمر العبقرى حدثني أبي عن أسباط عن السدي عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب B ه في قول ^ا { يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون } الآية قال : نزلت في الأنصار كانت الأنصار إذا كانت أيام جذاذ النخل أخرجت من حيطانها البسر فعلقوه على حبل بين الأسطوانتين في مسجد رسول ^ا صلى ^ا عليه وسلم فيأكل فقراء المهاجرين منه فيعمد الرجل منهم إلى الحشف فيدخله مع أقناء البسر يظن أن ذلك جائز فأنزل ^ا فيمن فعل ذلك { ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون } ثم رواه ابن جرير وابن ماجه وابن مردويه والحاكم في مستدركه من طريق السدي عن عدي بن ثابت عن البراء بنحوه وقال الحاكم : صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبيد ^ا عن إسرائيل عن السدي عن أبي مالك عن البراء B ه { ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذه إلا أن تغمضوا فيه } قال : نزلت فينا كنا أصحاب نخل فكان الرجل يأتي من نخله بقدر كثرته وقلته فيأتي الرجل بالقنو فيعلقه في

المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام فكان أحدهم إذا جاء فضربه بعصاه فسقط منه البسر والتمر فيأكل وكان أناس ممن لا يرغبون في الخير يأتي بالقنو الحشف والشيص فيأتي بالقنو قد انكسر فيعلقه فنزلت { ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذه إلا أن تغمضوا فيه } قال : لو أن أحدكم أهدي له مثل ما أعطى ما أخذه إلا على إغماض وحياء فكنا بعد ذلك يجيء الرجل منا بصالح ما عنده وكذا رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن عبيد الله بن موسى العباسي عن إسرائيل عن السدي وهو إسماعيل بن عبد الرحمن عن أبي مالك الغفاري واسمه غزوان عن البراء فذكر نحوه ثم قال وهذا حديث حسن غريب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد حدثنا سليمان بن كثير عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لونين من التمر الجعور والحبيق وكان الناس يتيممون شرار ثمارهم ثم يخرجونها في الصدقة فنزلت { ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون } ورواه أبو داود من حديث سفيان بن حسين عن الزهري ثم قال : أسنده أبو الوليد عن سليمان بن كثير عن الزهري ولفظه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجعور ولون الحبيق أن يؤخذ في الصدقة وقد روى النسائي هذا الحديث من طريق عبد الجليل بن حميد اليحصبي عن الزهري عن أبي أمامة ولم يقل عن أبيه فذكر نحوه وكذا رواه ابن وهب عن عبد الجليل وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا يحيى بن المغيرة حدثنا جرير عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن مغفل في هذه الآية { ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون } قال : كسب المسلم لا يكون خبيثا ولكن لا يصدق بالحشف والدرهم الزيف وما لا خير فيه وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد حدثنا حماد بن سلمة عن حماد هو ابن سليمان عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب فلم يأكله ولم ينه عنه قلت : يا رسول الله نطعمه المساكين ؟ قال [لا تطعموهم مما لا تأكلون] ثم رواه عن عفان عن حماد بن سلمة به فقلت : يا رسول الله ألا أطعمه المساكين ؟ قال [لا تطعموهم مما لا تأكلون] وقال الثوري عن السدي عن أبي مالك عن البراء { ولستم بآخذه إلا أن تغمضوا فيه } يقول : لو كان لرجل على رجل فأعطاه ذلك لم يأخذه إلا أن يرى أنه قد نقصه من حقه رواه ابن جرير وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس { ولستم بآخذه إلا أن تغمضوا فيه } يقول : لو كان لكم على أحد حق فجاءكم بحق دون حقكم لم تأخذوه بحساب الجيد حتى تنقصوه قال فذلك قوله : { إلا أن تغمضوا فيه } فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم وحقي عليكم من أطيب أموالكم وأنفسه ؟ رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزاد : وهو قوله : { لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون } ثم روي عن طريق العوفي وغيره عن ابن عباس نحو ذلك وكذا ذكره غير واحد .

وقوله : { واعلموا أن الله غني حميد } أي وإن أملككم بالصدقات وبالطيب منها فهو غني عنها وما ذاك إلا أن يساوي الغني الفقير كقوله { لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله

التقوى منكم } وهو غني عن جميع خلقه وجميع خلقه فقراء إليه وهو واسع الفضل لا ينفد ما لديه فمن تصدق بصدقة من كسب طيب فليعلم أن ا غني واسع العطاء كريم جواد ويجزيه بها ويضاعفها له أضعافا كثيرة من يقرض غير عديم ولا ظلوم وهو الحميد أي المحمود في جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره لا إله إلا هو ولا رب سواه .

وقوله : { الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء وا } يعدكم مغفرة منه وفضلا وا } واسع عليم { قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن عبد ا بن مسعود قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير والتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من ا فليحمد ا ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان] ثم قرأ { الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء وا } يعدكم مغفرة منه وفضلا { الآية وهكذا رواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننهما جميعا عن هناد بن السري وأخرجه ابن حبان في صحيحه عن أبي يعلى الموصلي عن هناد به وقال الترمذي : حسن غريب وهو حديث أبي الأحوص يعني سلام بن سليم لا نعرفه مرفوعا إلا من حديثه كذا قال : وقد رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره عن محمد بن أحمد عن محمد بن عبد ا بن مسعود مرفوعا نحوه ولكن رواه مسعر عن عطاء بن السائب عن أبي الأحوص عوف بن مالك بن نضلة عن ابن مسعود فجعله من قوله وا أعلم ومعنى قول تعالى : { الشيطان يعدكم الفقر } أي يخوفكم الفقر لتمسكوا ما بأيديكم فلا تنفقوه في مرضاة ا { ويأمركم بالفحشاء } أي مع نهيه إياكم عن الإنفاق خشية الإملاق يأمركم بالمعاصي والمآثم والمحارم ومخالفة الخلاق قال تعالى : { وا } يعدكم مغفرة منه { أي في مقابلة ما أمركم الشيطان بالفحشاء { وفضلا } أي في مقابلة ما خوفكم الشيطان من الفقر { وا } واسع عليم {

وقوله : { يؤتي الحكمة من يشاء } قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : يعني المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا [الحكمة القرآن] يعني تفسيره قال ابن عباس : فإنه قد قرأه البر والفاجر رواه ابن مردويه وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد : يعني بالحكمة الإصابة في القول وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد { يؤتي الحكمة من يشاء } : ليست بالنبوة ولكنه العلم والفقه والقرآن وقال أبو العالية : الحكمة خشية ا فإن خشية ا رأس كل حكمة وقد روى ابن مردويه من طريق بقية عن عثمان ابن زفر الجهني عن أبي عمار الأسدي عن ابن مسعود مرفوعا [رأس الحكمة مخافة ا] وقال أبو العالية في رواية عنه : الحكمة الكتاب والفهم وقال إبراهيم النخعي الحكمة الفهم وقال أبو مالك : الحكمة السنة وقال ابن وهب عن مالك

قال زيد بن أسلم : الحكمة العقل قال مالك : وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة هو الفقه في دين الله وأمر يدخله الله في القلوب من رحمته وفضله ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلا في أمر الدنيا إذا نظر فيها وتجد آخر ضعيفا في أمر دنياه عالما بأمر دينه بصيرا به يؤتية الله إياه ويحرمه هذا فالحكمة الفقه في دين الله وقال السدي : الحكمة النبوة والصحيح أن الحكمة كما قال الجمهور : لا تختص بالنبوة بل هي أعم منها وأعلاها النبوة والرسالة أخص ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع كما جاء في الأحاديث [من حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى إليه] رواه وكيع بن الجراح في تفسيره عن إسماعيل بن رافع عن رجل لم يسمه عن عبد الله بن عمر وقوله : وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ويزيد قالا : حدثنا إسماعيل يعني ابن أبي خالد عن قيس وهو ابن أبي حازم عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول [لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها] وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه من طرق متعددة عن إسماعيل أبي خالد به .
وقوله : { وما يذكر إلا أولو الأبواب } أي وما ينتفع بالموعظة والتذكار إلا من له لب وعقل يعي به الخطاب ومعنى الكلام